أسباب تفسر الجرأة الروسية

الخليج

٩/٨

عبد الاله بلقزيز

بدأت روسيا تستفيق من صدمة انهيار الاتحاد السوفييتي وتتعافى من الشعور بالهزيمة القاسية في الحرب الباردة أمام الولايات المتحدة ومعسكرها الغربي. منذ انتخاب بوتين رئيساً ويقظتها من كابوس الانهيار تنمو بإيقاع متصاعد. زادت وتيرة الصعود في العامين الأخيرين أكثر. أشعلها الاندفاع الأمريكي الشره، والذي ما توقف منذ العام ١٩٩٠، إلى الإطباق على ما تبقى من مركز نفوذ لروسيا في العالم، بل إلى مد اليد إلى الفناء الخلفي الأقرب الى البلاد القياصرة والبلاشفة وتهديد أمنها القومي من أقرب نقطة جغرافية على الحدود.

خسرت نفوذها العالمي وهيبتها الاستراتيجية في عهد جورباتشوف، فانسحبت مهيضة الجناح من شرق أوروبا إلى حدودها القومية، وخسرت استقلال قرارها القومي وكرامتها السياسية في عهد بوريس يلتسين، وباتت تحت رحمة إملاءات الغرب وشروطه التعجيزية، ثم ما لبثت أن شاهدت منطقة نفوذها السابق في شرق أوروبا تنتقل اقتصادياً إلى غرب أوروبا وعسكرياً إلى النفوذ الأمريكي. تمدد "حلف شمال الأطلسي" شرقاً فقضم دولاً على حدودها ودمجها في منظومته، وهو يسعى إلى استكمال التمدد في أوكرانيا وجورجيا. وانتقل النفوذ السياسي إلى جورجيا وأوكرانيا، وتكرس بقيام سلطة موالية لواشنطن في البلدين، ثم جرى استكمال معاقبة صربيا من خلال منح إقليم كوسوفو استقلالاً تاماً، وها هو نشر الدرع الصاروخية في بولونيا وغداً في تشيكيا يمعن في التطويق والتهديد بإطاحة روسيا.

كم هائل من المخاطر يحدق بروسيا اليوم ويحملها على الانتقال من التردد إلى الرد في شكل من الدفاع عن النفس مشروع. بدأ الرد كلامياً بإعلان عزم روسيا على الرد على ما يهددها من أخطار جراء منظومة الدفاع الصاروخي الأطلسية.

ثم تدرج إلى إرسال الطائرات القاذفة إلى الأجواء المحاذية لكندا لإبداء الحزم، وإلى زيادة الإنفاق العسكري بأضعاف أضعاف ما كان عليه، وصولاً إلى تأديب أمريكا في جورجيا. في سائر أحوال هذا التحول الطارئ على سياسة روسيا في عهد بوتين وميدفيديف، لم يكن منزعها إلى رفع التحدي بسبب وجود رئيس قوي هو بوتين - على الرغم من أهمية هذا العامل - وإنما بسبب جشع السياسة الأمريكية الذي جاوز كل الحدود فما ترك لروسيا من خيار سوى ممارسة الحق الشرعي في الدفاع عن النفس.

ليس من شك في أن صحوة روسيا السياسية في مواجهة السياسة الأمريكية افادت - إلى جانب وجود قيادة سياسية قوية محنكة مثلها بوتين ثم ميدفيديف - من ارتفاع أسعار الطاقة في السوق العالمية (وروسيا من المنتجين الكبار لها وخصوصاً الغاز)، وما دره عليها ذلك الارتفاع من موارد مالية ضخمة ساعدتها على تخطي حالة الانهيار الاقتصادي والإفلاس التام التي خلفتها حقبة يلتسين الفاسدة، وليس من شك في أنه لولا تعافي حالتها الاقتصادية لما كان في وسعها أن تتحرر من القيود والابتزازات والإملاءات السياسية الغربية المهينة لكرامتها القومية والعابثة بقرارها السياسي، لكن ذلك كله - على أهميته - كان يتيح لها في أفضل الأحوال أن تتفرغ لبناء داخلها الاقتصادي والتنموي وأن تتفادى الصدام مع الغرب، كما تفعل الصين منذ زمن، لكنه لا يفسر لماذا عادت سريعاً إلى تحدي الغرب والولايات المتحدة وتنفيذ تهديداتها السابقة بالرد، إن هذا الأمر الأخير لا يقبل التفسير إلا بذلك الاندفاع الأمريكي الجشع إلى المزيد من الإمعان في اضعاف نفوذ روسيا في جوارها المباشر، وافتعال مشكلات لها تزيد استنزاف قوتها، وهو اندفاع لا تملك روسيا ترف تجاهل مخاطره عليها، ولا يبقي لها من الخيارات غير خيار الرد عليه.

من يقول إن الإدارة الأمريكية فوجئت بالرد الروسي الحازم والحاسم في جورجيا على نحو لم تتوقعه لا يقول شيئاً آخر سوى أن هذه الإدارة لا تقرأ السياسة الدولية جيداً، ولا تدري أن من يضع مقدمات ما، عليه أن يقبل نتائجها. والإدارة الجمهورية المحافظة وضعت مقدمات لما يجري اليوم ما كان لها أن تقود إلا إلى هذا الذي يجري. إن إدارة بوش - والآنسة رايس التي ترسم لها سياستها حيال روسيا - تعلم جيداً أنها سلكت نهجاً كانت غايته معلومة لديها منذ البداية: امتصاص النهوض الاقتصادي لروسيا وتبديده في اتجاهات لا تستفيد منها التنمية القومية في روسيا. ماذا يعني مشروع الدرع الصاروخية في شرق أوروبا وتمديد مساحة عمل "الأطلسي" إلى الحدود الترابية لروسيا، غير إجبار الأخيرة على المزيد من الانفاق العسكري لحماية أمنها القومي والدخول مجدداً في سباق تسلح يرهقها اقتصادياً ويمتص كل ما لديها من فوائض مالية؟ السيناريو الريجاني نفسه في الثمانينات (وكان بوش الأب من صناعه إبان تقلده مسؤولية نائب الرئيس) يتكرر اليوم، ولكن مع فارق ليس قليل الشأن: أن صاحب القرار في موسكو اليوم ليس ميخائيل جورباتشوف الضعيف وعديم الخبرة، وإنما بوتين وميدفيديف القويان اللذان عركتهما محنة روسيا وتعلما كيف يستفيدان من خطايا من كانوا قبلهم: جورباتشوف، يلتسين، شيفرنادزه.. الخ.

ومن أهم ما تعلمه بوتين - ابن الكي جي بي الذكي - من أين تؤكل كتف الولايات المتحدة، ووافقه عليه رفيقه السابق ورئيسه الحالي ميدفيديف فبدأ - مع بوتين - في النيل من أمريكا في نقاط ضعفها وفي توقيت ضعفها المثالي، كانا يدركان أنها لا تقوى على الرد على ما سيفعلانه في جورجيا، بل هي أعجز حتى عن التفكير في الرد، وأنه كلما أمكن فضح عجزها أمام العالم كان ذلك مفيداً في تشجيع المتضررين منها على الرد، لقد خرجت مهزومة من لبنان مرتين: في صيف العام ٢٠٠٦ حين لقنتها المقاومة اللبنانية درساً في مواجهة "إسرائيل" وجيشها وقرار أمريكا معها، ثم في ربيع العام ٢٠٠٨ حين فرضت المعارضة اللبنانية وسوريا شروطهما في "اتفاق الدوحة" وطويت حقبة الإدارة الأمريكية للشأن اللبناني، ثم إن أمريكا غارقة في مستنقع العراق وأفغانستان، وتتعرض فيهما إلى نزيف بشري واقتصادي غير مسبوق منذ حربها في فيتنام، وهي تقف عاجزة أمام ايران وبرنامجها النووي فلا تستطيع الرد ولا تأذن لحليفها "الاسرائيلي" بذلك مخافة إشعال المنطقة في وجه أمريكا ومصالحها، ثم إنها - أخيراً - بلعت مشروعها الإمبراطوري لبناء "الشرق الأوسط الكبير" وبلعت مشروع "نشر الديمقراطية" الذي بدأ يأتيها بأعدائها الاسلاميين إلى السلطة. أينما دخلت أمريكا معركة خسرتها، ومن مجموع هذه الخسارات ينمو خيار الرد الروسي. تتقن روسيا كيف ترد ومتى ترد انتقاماً لكرامتها وتكريساً لهيبتها، ولكن الاعتراف من روسيا واجب عليها حيال من هيأ لها أسباب وقفتها الشجاعة في وجه أمريكا، فما أحد غير العرب والمسلمين في العالم قلم مخالب أمريكا وأجرأ عليها روسيا.

أنهار العقيد وكونداليزا رايس

الجمهورية

٩/٨

عصام كامل

قالت وكالات الأنباء ان لقاء السيدة كونداليزا رايس مع معمر القذافي في العاصمة الليبية طرابلس إنما جاء لتحقيق مكاسب دبلوماسية للإدارة الأمريكية التي أرادت ان تغري كوريا الشمالية وإيران لتقول لهما ان من يحذو حذو ليبيا ربما ينعم بمثل هذه اللقاءات وقد قلبت التفاسير والقراءات السياسية والتحليلية لما ورد في كتابات من كتبوا وقراءات من قراوا وتحليلات من حللوا فلم أجد اغراء يمكن ان يدفع عواصم مثل طهران أو بيونج يانج لتقديم كل شيء مقابل لاشيء خاصة ان اللقاء الذي جري بين كونداليزا والعقيد لم يحمل جزءا من ملامح هذا الاغراء، ربما لأن ممثلة أمريكا في اللقاء لم تكن تحظي في كافة مراحل حياتها بأي اغراء فهي الوزيرة التي عرف عنها كراهيتها لكل ما هو عربي ومسلم.

ومن العجيب ان اشقاءنا الليبيين كانوا يتنددون بحكام عرب يلتقون بكونداليزا رايس ثم اتضح لهم بعد ذلك ان مجرد الالتقاء بها على غير انفراد وأمام الكاميرات يعد اغراء لشعوب تسكن عواصم قد يدفعهم إلي تسليم كل شيء مقابل اللقاء بالسيدة الأمريكية السمراء والتقاط الصور معها. وما حدث قبل اللقاء الذي وصف بأنه تاريخي بين كونداليزا رايس والعقيد ان الزعيم الليبي قال ان قطر والإمارات قد فعلتا مالم تفعله مصر والسعودية في قضية اخراج ليبيا من أزمتها مع الغرب واعتقد ان ما فعلته ليبيا من إعلان درامي أمام الكاميرات من تخليها الواضح عن برنامج نووي لم يكن أحد يعرف عنه شيئا كان كفيلا بأن يصلي بوش ورفاقه الأوروبيين ركعتين في قبلة طرابلس دون وساطات، أما ان كانت تلك مشورة الدول الصغيرة على حد وصف العقيد فإنه كان لزاما علينا جميعا ان نسأل عن المقابل.. مقابل الاستسلام بهذا الشكل. أنا على يقين انه لابد أن يكون هناك مقابل ففي السياسة لا تقدم شيئا من دون الحصول على شيء وما قدمته ليبيا للمفاهيم الجديدة في العالم كان يستحق ثمنا أكثر وضوحا وأكبر اثرا خاصة انها قد تنازلت عن جزء من ايدولوجيتها طواعية وظهرت أمام العالم كأنها تعتذر لأنها سعت لامتلاك أسلحة نووية على الرغم من ايمانها بضرورة ذلك في مواجهة إسرائيل.. هكذا كان يقول لنا الساسة في طرابلس. اضف الى ذلك ان ضحايا ليبيا من القصف الأمريكي لبيت العقيد مازال في الأذهان مرتبطا بمصطلحات الدماء الزكية.. الشهداء.. المقاومين والمناضلين.. فأين إذن ثمن هذه الدماء وما هي بدائل المصطلحات الجديدة وماذا فعلت أمريكا مقابل الاعتذار الليبي عن مجرد نيتها في امتلاك سلاح نووي. والسؤال أيضا: هل تدخلت الدول الصغيرة لاقناع الجماهيرية بأن تفعل ما فعلت دون الحصول على تعويضات ممن حاصروها ولماذا لم تنظر الجماهيرية الى كوريا الشمالية التي حصلت علي كل شيء قبل أن تقدم شيئا ودون ان تتنازل عن واحدة من مفردات ستراتيجيتها.. ربما لأن كوريا التي تمتلك فعلا سلاحا نوويا لم تلجأ في دبلوماسيتها إلى دول صغيرة.

طرابلس على المحك

النهار

٩/٨

سمير منصور

الحديث عن طرابلس من منطلق التعميم بـ"التطرف" و"الجماعات المتطرفة" وما شابه فيه الكثير من الظلم والمبالغة. فهي ليست كذلك على الاطلاق. واهلها في غالبيتهم الساحقة اهل انفتاح واعتدال ينبذون التطرف بكل اشكاله، وفيها الكثير من هيئات المجتمع المدني والتوجهات العلمانية. واما وجود بعض الجماعات الدينية او عدد من المتطرفين في المدينة فلا يعني بالتأكيد وصمها بالتطرف او تصويرها وتقديمها للعالم قاعدة لـ"القاعدة" والتطرف والإرهاب! فحالها حال اي مدينة او بلدة في لبنان، وكذلك الامر في بعض الدول العربية. ومن حق ابنائها وابناء الشمال واللبنانيين عموماً التوجس من تكاثر الحديث عنها، مصرياً كان ام سعودياً ام سورياً، لأن ذلك يوحي ان الوضع خطير ومرشح للتفاقم والتدهور. ومع افتراض سوء النية وهذا امر طبيعي في السياسة، يصبح طبيعياً رسم علامات استفهام حول بعض التصريحات والمواقف المحلية والخارجية، من زاوية علاقتها بمعطيات الخطورة ومسبباتها. وقد طالت الاتهامات في هذا السياق سوريا، وفي بعض الحالات ولو بنسبة اقل المملكة العربية السعودية. وبدا الخلاف السوري –السعودي خط تماس في طرابلس بين باب التبانة وجبل محسنومن خلال حملات تحريض وشحن واسعة النطاق في موازاة كلام كثير على تدفق السلاح من كل حدب وصوب، بدا واضحاً ان طرابلس زجت في "حروب" لا علاقة مباشرة لها بأهدافها ومراميها، تماما كما كانت من قبلها حال سعدنايل وتعلبايا في البقاع، وقد استهدفت الاولى قبل اسبوع بقنبلة ليلية مشبوهة تزامناً مع اجتماع دوري مشترك للتنسيق، وقطع الطريق على محاولات التخريب بين البلدتين وصولاً الى الاستقرار في ما يؤكد مرة جديدة ان ما جرى ويجري في طرابلس وغيرها هو اكبر من خلاف فردي بين جارين احدهما من اتباع المعارضة والآخر من اتباع الموالاة، بل انه مشروع فتنة متنقلة، لا يزال رافضوه حذرين من الوقوع في فخها اقوى من المتورطين والمضللين. وسط هذه الاجواء يصبح من غير المبالغة القول بأن الوضع في طرابلس خطير. وبمقدار ما يزداد خطورة من خلال التفجيرات الامنية وسقوط الضحايا وحملات التحريض والشحن الطائفي والمذهبي، لا يبدو مستعصياً على الحل سياسياً اذا كان الجميع صادقين حقا وجديين في السعي الى حل. والامر مرهون بقرار سياسي وأمني صارم. ولعل هذا الواقع، مع كلام متجدد للبعض عن مخاوف من "افتعال مبررات لتدخل عسكري سوري" وفق تعبير هؤلاء، أملت الزيارة المفاجئة لرئيس تيار "المستقبل" النائب سعد الحريري لطرابلس، لثلاثة ايام، تحت عنوان "دعم جهود المصالحة ورعايتها" وفق مصادر قريبة مواكبة للزيارة. وقد لوحظ انها حرصت على تأكيد الدعم والرعاية "لأننا لسنا طرفاً في ما يجري" بمعنى عدم التورط في مشاريع تخريبية، آملة في تحقيق مصالحة "تضع حداً للمسلسل الجهنمي الذي يستهدف طرابلس واهلها بل الوطن برمته، واستقراره وامنه ووحدته". وتتوقع هذه المصادر تحقيق تطور ايجابي اليوم من خلال اجتماع مشترك يضم ممثلين عن الجميع، بمن فيهم ممثلون لجبل محسن وباب التبانة، مبدية الحرص على عدم استباق الأمور.

وهكذا تبدو زيارة الحريري الثالثة لعاصمة الشمال الأهدأ، فهي ليست انتخابية او للحشد واستنهاض الهمم، بل لـ"دعم جهود المصالحة". وكان لافتاً حرص الحريري عشية الزيارة على الاتصال بالرئيسين عمر كرامي ونجيب ميقاتي والنائب موريس فاضل وقد بدأت لجنة تم الاتفاق على تشكيلها برئاسة المفتي الشيخ مالك الشعار إثر اجتماع موسع للحريري مع نواب وفاعليات، اعداد مشروع حل متكامل لعرضه على جميع الاطراف اليوم أو غداً، تمهيداً لأعلانه وتكريس المصالحة، وهذا ما يتمناه الجميع، ولاسيما "الضحايا" على ضفتي شارع سوريا بين باب التبانة وجبل محسن. فهل تنجح المحاولة أم أن "المشروع الجهنمي" أقوى؟ تلك هي المسألة!

التحدي السوداني

الغد

٩/٨

حمادة فراعنة

مرة أخرى. ليست قضية قرار الادعاء العام للمحكمة الجنائية الدولية. بتوجيه الاتهام الى الرئيس السوداني. مجرد قضية سودانية خالصة يمكن أن تتوقف ذيولها وتداعياتها لدى حدود السودان فحسب. بل ستمتد نتائجها لتطيح بالوضع السوداني وخارطته وأمنه وعروبته واسلامه وتجعله في مهب الريح. اذا ما تم معالجة ازمة الاتهامات الموجهة للرئيس عمر البشير بعقلانية وسعة صدر. حتى لا تتفاقم وعلى القيادة السودانية ان لا تركب رأسها فتخسر اوراقها وعدالة قضيتها وتجري الاوضاع والتطورات شبيهة بما حصل مع العراق وأعوص. مما يستوجب التعامل مع الاحداث الجارية الان بطريقة ذكية محنكة لتحاشي الاسوأ.

في السودان ثمة خياران يتصادمان مع بعضهما حول كيفية التعامل مع المحكمة الجنائية الدولية. فحزب المؤتمر الوطني الذي يقوده الرئيس عمر البشير يرفض التعامل مع المحكمة الدولية ولا يعترف بها. بينما تحمل الحركة الشعبية برئاسة نائب الرئيس سيلفاكير. موقفاً مغايراً يتوسل التعامل مع المحكمة الدولية او الاقرار بوجودها وشرعيتها حتى ولو لم يكن السودان موقعاً على اتفاقية روما الخاصة بالمحكمة. ولا شك في ان من الحكمة التعامل مع المحكة ودفع محامين سودانيين ودوليين مكلفين لتقديم مرافعة للمحكمة تفند مرافعة الادعاء العام وتقدم وقائع بديلة لتلك التي استند اليها المدعي العام لويس اوكامبو. بحيث يكون هنالك مرافعتان ووجهتا نظر امام المحكمة. قبل ان تصدر المحكمة قرارها في ٢٠٠٨/١٠/١٥ في تأكيد توصية الادعاء بإصدار مذكرة توقيف بحق الرئيس السوداني او تسقط تلك التوصية.

فالرفض والاستنكاف لن يحققا للسودان مكسباً. بل سيترك المحكمة لتتصرف وفق رؤية واحدة تقدم لها. وتتالي الخطوات بعد الاقدام على الخطوة الاولى ٢٠٠٨/٧/١٤ المتمثلة في توصية الادعاء العام سيؤدي الى تفاقم الوضع وتراكم الخطوات لمصلحة الاطراف المعادية للسودان. سواء كانت المحلية التي قدمت الادعاء العام وقائع قد لا تكون حسية وصحيحة واخذ بها الادعاء مدفوعاً من اطراف دولية لها مصلحة في اذعان السودان واضعافه ومحاصرته.

التعامل مع المحكمة وتفنيد اتهامات الادعاء العام لا يعني التسليم بالتهم والرضوخ للنتائج. بل يتم التعامل معها لنسفها ودحضها. من دون اسقاط الخيارات الاخرى والخطوات البديلة المرافقة.

مواجهة الحملة المنظمة التي تستهدف السودان ونظامه السياسي وخياراته الاسلامية العربية. تتطلب أعلى درجات اليقظة واوسع جبهات التحالف الوطني بين السودانيين وبينهم وبين العرب وامتدادهم نحو العالم الواسع الذي يرفض الهيمنة والتسلط واحادية الجانب.

مواجهة الحملة بدأها الرئيس البشير باللقاء مع الاحزاب المشاركة في الائتلاف الذي يقود الحكومة والمعارضة لها، وهي خطوة نوعية جوهرية يجب ان لا تتوقف. بل يجب ان تكون؟ الاول في خطة عمل لمواجهة الافكار ورص الصفوف وتحصين الجبهة الداخلية التي يعتمد عليها رهان تقويض الجبهة المعادية. ان كسب الصادق المهدي ومحمد عثمان الميرغني وتحييد الشيوعيين والبعثيين وكسبهم في حكومة وحدة وطنية جبهوية واسعة هو الرد الطبيعي الاول في حشد الوضع الداخلي وتماسكه. وان الحفاظ على التفاهم والشراكه مع الحركة الشعبية هو الضمانة لاستمرار خيارات نيفاشا والوصول الى شواطئ امان وحدة السودان وتعدديته. ومثلما حقق حزب المؤتمر الوطني خطوة استراتيجية في نيفاشا. عليه مواصلة الطريق والجهد لاحياء اتفاق ابوجا مع فصائل المعارضة المسلحة في دارفور. فالمصالحة مع اهالي دارفور هي مفتاح ازالة الاستعصاءات التي تعيق تطور السودان ديمقراطياً وتعددياً بوسائل مدنية وسلمية. الجهد الداخلي هو الاساس وتلبية احتياجات الناس في ولاياتهم هو المقياس والتوفيق بين مصالحهم المتناقضة هو الذكاء والحنكة للحفاظ على نجاح ادارة الدولة بمعايير سودانية محلية غير مستوردة. ولكن عناوين الاتفاق والمصالحة الداخلية وتطبيق تفاهمات نيفاشا في الجنوب وابوجا في الغرب السوداني لا يعفي صاحب القرار السوداني من العمل على جبهة الحكمة والتعامل الواقعي معها. وخلق وتمتين التحالفات الدولية التي تحمي السودان من قرارات مجحفة قد تصدر عن مجلس الامن. ولا شك ان تطور الوضع الدولي بعد الاجتياح الروسي لجورجيا سيساعد السودان في الافادة من حق الفيتو الروسي او الصيني في نيويورك. توحيد موقف الشريكين حزب المؤتمر الوطني والحركة الشعبية في حكومة الخرطوم. شرط ضروري لنجاح البرنامج السوداني في الصمود وفي تعطيل جبهة العداء للسودان. ويقف الاجتهاد بين الطرفين في كيفية التعامل مع المحكمة الدولية في طليعة الاولويات المطلوب التفاهم بشأنها بين الشريكين. وهذا ما عبر عنه وزير الخارجية السوداني دينق ألور يوم ٢٠٠٨/٩/٤ في لاهاي حينما صرح على اثر لقائه مع نظيره الهولندي مكسيم هاغن بقوله ان الحكومة السودانية تشهد "ازمة" بسبب خلافات حول التعاون مع المحكمة الجنائية الدولية وقال "هناك ازمة في صلب الحكومة السودانية. نأمل التوصل الى توافق بشأنها قبل ان تتخذ المحكمة الجنائية الدولية مبادرات اخرى. بعد توصية المدعي العام اوكمبو بإصدار مذكرة توقيف بحق الرئيس السوداني. وقد اوضح ألور ان حزب المؤتمر الوطني يرفض التعاون مع المحكمة. في حين ان حزب الحركة الشعبية يؤيد هذا التعاون.